# كاريزما المصطلح النقدي العربي: تأملات في الوعي النقدي وصياغة المفهوم

**الأستاذ: لحسن دحو**
**شعبة الترجمة**
**كلية الآداب واللغات**
**جامعة قاصدي مرباح– ورقلة**

**تمهيد:**

تفصح القراءة المتأنية لصيغ اشتغال المصطلح النقدي العربي، وأشكال تداوله في التراث النقدي العربي عن مدى الاهتمام الذي حازه عند العرب القدامى؛ بوصفه، من جهة، أداة معرفية تساعد في ضبط شتات التصورات وتشابكاتها ومن ثمة في تنظيم المفهومات المعرفية وتأطيرها، ومن جهة أخرى، بوصفه قيمة مرجعية تركز ثقافة واسعة في بؤرة[1].

وإذا كان للمصطلح النقدي العربي– آنذاك–هذه القوة التكثيفية والتأطيرية، فلأنها– ولاشك– تُعزى إلى قوة إدراك المشتغل بهذه الأداة بخطورة الاستعمال الاعتباطي لها، وإلى إيمانه بأن التحكم في اللغة المصطلحية، هو في النهاية، تحكّم في المعرفة المراد تبليغها، وتعبير عن مدى كفاية المشتغل على ضبط أنساق هذه المعرفة.

غير أن ما يعكسه المشهد النقدي العربي الراهن، ليقرّ، عموما، بوجود فوضى مصطلحية تنمّ عن غياب مثل هذا الوعي، وعن حالة من الهذيان بحمى المناهج النقدية الغربية؛ تسبّبت فيها ما فاضت به ترسانة هذه المناهج من شبكات نظرية متخصصة تدفقت على الساحة العربية، فسوّقها الغرب كأجهزة ابيستمولوجية سجل براءة اختراعها وطرائق استعمالها، فكان هذان العاملان كفيلين بأن يُفقدا المصطلح النقدي العربي نضارته؛ ليلوح على هامش الدراسات النقدية كباقي الوشم بظاهر اليد.

ولأنه لا مكان للعربة أمام الحصان، فإنه لا يعزب عن ذهن حصيف أن كل دراسة تتجاوز المصطلح تعدّ فاشلة مسبقا على ما قد يتوافر لها من عوامل النجاح الأخرى، على اعتبار أن مصطلحات العلوم هي المرآة الكاشفة لأبنيتها المجردة، ومن

خيّل له أنه يتقفى أثر المعرفة دون تمثل متصوراتها الفعالة من خلال أدواتها الدالة فإنما شأنه" شأن من ظن أن الكل يتألف بالقفز على الأجزاء أو أن للأجزاء كيانا منقطعا عن كيان المجموع".[2]

وإذا كان من الثابت أن المصطلح لغة واصفة ذات جوهر يعكس حمولة مفهومية، ومعرفية، وثقافية وانتماء إلى ثقافة ما، فإن تغريبه يجعل منه لغما عنقوديا موقوتا، لا تمحي ندوبه بسهولة.

ولأجل ألا يكون المبدع العربي( كاتبا/ قارئا/ ناقدا) من ضحايا انشطار هذا اللغم العنقودي، تأتي هذه الورقة المتواضعة محاولة صقل المصطلح النقدي العربي مما ران عليه من خمول، وما أصابه من صدإ جرّاء إهمال– فحلّ به ما يحلّ بمحراث من الحديد، مهمل في الحقل دون استعمال– علّها، بذلك، تظفر بصنيع علاء الدين بمصباحه العجيب، فتعيد للمصطلح العربي إذكاء إشراقته من جديد وتكشف عن كاريزماه.

ولعل صرامة المنهجية تفرض علينا، بداية، الوقوف على ظاهر ما تنوء به وحدات العنوان الذي وسمنا به هذه الدراسة، من محمولات تُمدّ باطنه بنسغ من الطروحات التي قد تحتاج إلى مدارسة تتجاوز مجهود الفرد الواحد؛ حتى نزيل عن القارئ الذي يوجّه إليه الخطاب أيّ التباس قد يحوط بالموضوع، وليدرك، أيضا، أهمية الاشتغال بالمصطلح خاصة في مرحلة تأسيس لغة نقدية واصفة مقابل لغة سطحية لا تعي ذاتها، وتغرق بشكل لا يجدي في التفريع والتفكيك.

**1. الأصل والمفهوم:**

لما كان من المتعذر، في كثير من الأحيان، فهم المستوى الاصطلاحي الخاص ( المستوى الثاني) فهما صحيحا دون العودة إلى مستواه الأول( المستوى اللغوي العام)، فإننا سنحاول الوقوف على الدلالات اللغوية للمصطلحات الآتية:

**– كاريزما:**[3]

يعود مفهوم مصطلح" كاريزما" إلى الكلمة الإغريقية" Kharisma" التي تعني الموهبة أو العطية الإلهية. وقد استعمل هذا المفهوم في فجر المسيحية للدلالة على قدرات الروح القدس.

أما في دلالته الاصطلاحية فيشير هذا المصطلح إلى الصفة المنسوبة إلى

أشخاص أو إلى مؤسسات أو مناصب بسبب صلتهم بالقوى الحيوية المؤثرة والمحددة للنظام.

ويرجع الفضل في استخدام هذا المصطلح لأول مرة إلى" ماكس فيبر" الذي خلع عليه لبوسا سياسيا للإشارة إلى القدرة التي يتمتع بها شخص معين للتأثير في الآخرين إلى الحد الذي يمنحه مركز القوة والثقة لقيادتهم؛ بسبب ما يتحلى به من قدرات إدراكية غير طبيعية ونفاذ بصيرة لا يبارى فيها، أو لتحلّيه بفضائل خلقية تسموبه إلى أعلى مرتبة بين البشر.

– **مصطلح:**[4]

كلمة" مصطلح" مصدر ميمي من الفعل المزيد" اصطلح" على وزن" افتعل"، الذي مجرده" صلح"، ولعل البحث في الدلالات الصرفية للوزن" افتعل"( المطاوعة، الاشتراك، الاتخاذ)، واستقصاء المعاني المعجمية التي يشير إليها الجذر اللغوي( ص ل ح): الصلاح، الاستقامة، يكشف عما يأتي:

- **الاتفاق والمناسبة:** فالمصطلح ظاهرة اجتماعية، يشترك فيها أفراد جماعة من الناس يجمعهم الاتفاق والانسجام؛ من أجل جعل اللغة أكثر مناسبة وصلاحية لتحقيق مقاصدهم.
- **التداول:** إذ تمنح المواضعة الاجتماعية والثقافية المصطلح قوة تداولية أشبه ما تكون بعقد قرائي ثقافي، يترتب على خطورة استعماله الاعتباطي إرباك هذه القوة وضياع الغاية الأولى التي هي التوصيل والوضوح.

– **النقد:**[5]

بالعودة إلى معاجم اللغة العربية والبحث في الجذر( ن ق د) يقف الدارس على مجموعة من المعاني تكاد تدور كلها حول معنى التمييز وإدامة النظر باختلاس.

أما عند الغرب، فإنه بتتبع دلالات مصطلح" نقد" يتبين أنها استعملت في مجالات عدة، وبمعان مختلفة.

فعند الإغريق كانت تشير إلى" القاضي". ولعل كلمة" ناقد" كانت تدل على ناقد الأدب. وقد استعملت أول مرة في القرن الرابع قبل الميلاد عندما أُطلق على فيليتاس – أحد أبناء جزيرة كوس ومؤدب الملك توليميو – لقب شاعر وناقد.

أما في اللاتينية القديمة، وفي فترة القرون الوسطى، فقد اقترن استعمال الكلمة بمجال الطب لتشير بذلك كلمة" الناقد" إلى" الطبيب الجراح".

على هذا النحو، توحي محاولة استجماع دلالات الوحدات المشكلة للعنوان من خلال إيجاد رباط ناظم لها، بأن كاريزما المصطلح النقدي هي تلك الطاقة الحية التي يكتنزها المصطلح لاستبقاء كل شحنته الإيحائية بما يضمن له نصوعه ونقاءه وأصالته؛ لأن" التماهي المنشود بين المتصور الذهني والكلمة المصطلح بها عليه ليس من ضروب التطابق المعجمي بقدر ما هو من التماثل الوظيفي، ولذلك كان للتخييل فيه نصيب وافر"[6].

إن كاريزماه تشمل طريقة أدائه لوظائفه، وكيفية انتظامه في نسق المنظومة الفكرية النقدية في مظهرها المتجه نحو الأدب من ناحية، ومظهرها المتجه نحو الظواهر الثقافية التي تمثل السياق الاجتماعي للأدب من ناحية أخرى. فيكون فعله كما عبر عنه – مصطفى ناصف– أشبه بصلصلة الجرس يدق فيسمعه النقاد، ويسمعه أهل الثقافة العربية في مجموعها؛ فيومىء إلى قوى متنوعة تنبه أكثر من فئة[7].

في ضوء ما تقدم، قد يتساءل القارىء: أين تقع هذه الكاريزما التي تم الحديث عنها آنفا بين المفاهيم المذكورة؟ أو بعبارة أخرى أين تتبدى هذه الكاريزما التي تتبجس من المصطلح النقدي العربي؟.

**2. المصطلح النقدي العربي وخلفياته التأسيسية:**

لاشك أن المصطلح النقدي يشكل العمود الذي يقوم عليه الخطاب النقدي، شأنه في ذلك شأن بقية المصطلحات في شتى حقول المعرفة. ولقد أصاب" الخوارزمي" ( ت 387 هـ) عندما أشار إلى أن المصطلحات" مفاتيح العلوم"، فوسم بذلك مصنفه المعروف.

وإذا كانت دراسة المصطلحات من وجهة النظر اللغوية الخالصة غاية في ذاتها، فإنها من وجهة نظر المشتغلين بالعلوم التي تنتمي إليها تعدّ من باب فرض العين في فهم موضوعات العلوم التي تنتمي إليها.

- **تعريف المصطلح النقدي:**

لقد ظل المصطلح النقدي على مركزية مفهومه يتفلت من تحديد المعرفين ممن لهم صلة بمكابدة أمر المصطلح، ومن تأطير الباحثين؛ لتباين العدة المعرفية والمنهجية الكافية التي تحيط بمجاله وبما يتصل به في السياقين الدلالي والتداولي، وبخاصة إذا كان يتواشح مع مفاهيم مجاورة أو مماثلة له من مثل المصطلح البلاغي. يعرّف" عبد العزيز

الدسوقي" المصطلح النقدي بأنه:" النسق الفكري المترابط الذي نبحث من خلاله عملية الإبداع الفني، ونختبر على ضوئه طبيعة الأعمال الفنية وسيكولوجية مبدعها، والعناصر التي شكلت ذوقه"[8].

إن قراءة واعية لهذا التعريف، تُسلم الدارس إلى حقيقة أن المصطلح النقدي، بما يمثله من درجة عالية من التجريد المفهومي، لغة واصفة تؤطر التصورات الفكرية التي ينتجها فعل الممارسة في العملية النقدية، وفق ضوابط منهجية تقتضي توضيح دلالاته، وتحديد طبيعة توظيفه، وتسمح له باختراق المنظومات الفكرية السائدة على طريقة الكشف الإشعاعي.

وقمين بالذكر هنا، الإشارة إلى أن المصطلح النقدي بوصفه علامة لا يعدو أن يكون أداة إجرائية يتوسل بها الناقد في كل ممارسة نقدية بالكيفية التي تجعلها منتجة، مع إدراكه بوعي تام بأن حمولة المصطلح الذي هو بصدد توظيفها يجب أن تُستخلص من الفضاء الفكري الذي استعملت فيه، أما المعنى الذي يعطيه لها الإطار المرجعي الأصلي، فيجب أن يؤخذ كدليل فقط وليس كمدلول.

وحتى يُؤمّن المصطلح النقدي السياج المنطقي الذي يحوط المعرفة النوعية المتضمَنة في عمق مكوناته التركيبية والدلالية، ويباشر وظائفه بعيدا عن أي تهديد، كان لزاما أن ينماز بجملة من الخصائص التي بها يحدد وجوده الأدبي، ومفهومه الدلالي، وحضوره التداولي؛ ليظل صورة مطابقة لبنية قياسات هذه المعرفة النوعية.

- **الخلفيات التأسيسية للمصطلح النقدي:**

إن جماع ما يأتلف من الثوابت المعرفية، والمقاييس اللغوية، والوسائل النوعية، هي– كما يذهب عبد السلام المسدي– قاعدة التأسيس التي تحصن القصد المنهجي والمعرفي الذي يرمي إليه مستعمل المصطلح من الزيغ، فتكفل له الرؤية العلمية الواضحة والسند القوي كما تؤمن له الخبرة العملية التي تزيده بصيرة بأدوات عمله:[9]

**أ– الثوابت المعرفية:**

من الثوابت المعرفية المطلقة أن اللغة ظاهرة جماعية واجتماعية يحركها بندول الحاجة؛ فتقف مشدودة إلى قطبين متجاذبين: يدفعها الأول بضغط المواكبة، ويشدها الثاني بوازع حب البقاء اتقاء للانسلاخ الماحي لرسمها. وعلى عماد هذه الحقيقة تنزرع قاعدة أساسية في صياغة المصطلح النقدي العربي تقوم على قدرته على ترشيح

التعادلية القابضة على طرفي الجذب: أن يتلاءم مع الاقتضاءات المتجددة، وأن يُبقي على بنيته التي بها جوهره وفيها هويته؛ لأن المصطلح لا يُولد أو يصاغ أو يُصنع ارتجالا أو بصورة اعتباطية، بل لابد فيه من حاجة ماسة، ودلالة واضحة، ومناسبة تدعو إليه في هذا العلم أو ذاك.

**ب- المقاييس اللغوية:**

إن النواميس التي تحكم لغة المصطلح النقدي العربي منحته سمة التفرد والتمايز، فهو ذو طبيعة توالدية بفعل الحركة الانفجارية داخل بنيته، الناجمة عن آلية الاشتقاق، مما يكسبه طواعية داخلية تمكنه من معاودة الانتظام الذاتي، واستئناف الارتصاف البنائي عند كل حاجة دلالية. على أن الدلالات التي يكتسبها يُحرم بموجبها من حق الانزياح الدلالي المباح للكلمات العادية تفاديا لكل اضطراب تواصلي محتمل.

**ج- الوسائل النوعية:**

ويقصد بها تحديد مجال الاختصاص المعرفي للمصطلح، إذ يشترط في المصطلح أن يحافظ على العناصر المفهومية التي شكلته، وأن يتمكن من خلق تواصل متبادل بينه وبين اللغة التي ينتجها ويدفعها، وبينه وبين الموضوع الذي يريد معالجته، وبخاصة إذا كان المصطلح قد اكتسب حمولته الفكرية والمفهومية عبر تشكله في الزمان والمكان والثقافة المغايرة لبعده التاريخي والحضاري. مما توجب عملية اشتغاله، بصورة طبيعية وإيجابية، ضرورة استيعابه في حقله المعرفي في أثناء تشكله من حقول معرفية متباينة يسر ضبطه معجميا وملاحقته في إطار أسرته الاشتقاقية، ومفهوميا في إطار أسرته الدلالية والإحالية القريبة والبعيدة. كما تؤمن له الخبرة العملية التي تزيده بصيرة بأدوات عمله.

على ضوء ما تقدم، يبدو جليا أن كاريزما المصطلح النقدي العربي تتولد من انبنائه على" تصور للمعرفة ينأى بها عن أن تكون ملتبسة أو مراوغة، كما ينبني على تصور للعقل ينزه عن أي شك في قدرته على الوصول إلى المعرفة وإدراك حقيقتها وجوهرها"[10].

إن كاريزماه نابعة من ميله نحو الواحدية في المفهوم، بسبب ولادته الطبيعية التي أقرت سلامة صناعته وبنائه، ومن ثمة ضمنت له الاستقرار في التراث النقدي

العربي، وكفلت له القدرة على الاحتفاظ بدقة المفهوم ووضوحه، فضلا عن توافر عناصر الإبداع فيه ممثلة في جمال صوغه اللغوي، وخفة جرسه، وقدرته على الديمومة والبقاء.

غير أن الهجرة غير الشرعية للمصطلحات الوافدة من ثقافة الآخر– بانتظام مثير– بفعل الإسهال المصطلحي الذي أصاب الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة عجّلت بزعزعة النسق المعرفي لدى المتلقي العربي الذي ضعفت مناعته الثقافية، ليجد نفسه في نهاية المطاف قابلا لتقبل جميع القيم والمواقف السلوكية وتمريرها دونما اعتراض عقلي أو ممانعة نفسية، في وضعية شديدة الشبه بوضع السم في الدسم؛ ذلك أن أيّ مفهوم يمثّل، في حقيقته، خلاصة أفكار ونظريات وفلسفات معرفية في النسق المعرفي الذي أوجده وينتمي إلى بنائه الفكري، إذ غالبا ما يتجاوز المفهوم بناءه اللفظي ويتخطى جذره اللغوي؛ ليعكس كوامن فلسفة الأمة التي أنتجته، ودفائن تراكمات فكرها ومعرفتها، وما استبطنته ذاكرتها المعرفية من محمولات إيديولوجية.

ولعل هذه المسألة تنمّ عن أمرين اثنين:

أولهما: أن المنظومة التواصلية في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية تعرف خللا في الجهاز المصطلحي العربي واختراقا في نسيجه المفاهيمي؛ فقد باتت ولادة المصطلح العربي رهينة بوجود المصطلح الغربي، وأمسى تداوله وقفا على درجة تمكن المتلقي العربي من المصطلح الغربي ومفهومه، وهذا في واقع الأمر يفضي إلى طرح سؤال جوهري: هل ولادة المصطلح العربي مردها إثارة حاجات أم إشباع حاجات؟.

وثانيهما: اعتقاد أن مهمة الفكر العربي ظلت حبيسة محاولات استيعاب المفاهيم الغربية ونقلها إلى العربية في صورة قوائم مفردات جلها معرب تعريبا صوتيا، وهو تصور لا يجانب الصواب، لكنه يحوّل أزمة المسألة الحضارية عند العرب إلى أزمة في المصطلح.

إن كل نسق لغوي ينمو داخل منظومة الحاجة إلى ممارسة التفكير، ويحتوي في قصده تصوره لعالمه، انطلاقا من التسليم بأن اللغة ليست إلا أداة لتحقيق الحياة، ولأنها كذلك فإن" ... حقائق المعاني لا تثبت إلا بحقائق الألفاظ، فإذا انحرفت المعاني فكذلك تتزيف الألفاظ... فالألفاظ والمعاني متلاحمة ومتواشجة ومتناسجة"[11].

وإذا كان التفكير داخل ثقافة معينة ليس، في حقيقته، تفكيرا في قضاياها بل تفكير بوساطتها، فإن هذا يعني أن التفكير لا يتم إلا من خلال منظومة مرجعية يشكل المصطلح إحدى إحداثياتها الأساسية.

وعليه يغدو المصطلح، بهذا المعنى، أداة تمسك بالعناصر الموحدة للمفهوم، لتعمل على انتظامها في قالب لفظي يمتلك قوة تجميعية وتكثيفية لما قد يبدو مشتتا في التصور، وأداة تلخص في بنائها واستخدامها ثلاث وظائف حضارية غاية في الأهمية والخطورة، وهي:

- **وظيفة الفكر:** تتجلى في قدرة المصطلح على إنتاج المعرفة في مختلف مجالات العلوم ( المادية والإنسانية والاجتماعية) وفق ذاتية حضارية.
- **وظيفة اللغة:** تنعكس في قدرتها على جعل المصطلح نظاما، يقف من خلفه نظام الحضارة التي ينطق باسمها ويحمل خصوصيتها.
- **وظيفة القيم:** تتجسد فيما تستبطنه المصطلحات من قيم ضمنية أو صريحة إلى جوار ما تقدمه من معارف.

إن التدقيق في حقيقة إشكالية المصطلح النقدي العربي من المنظور العلمي والمعرفي، يعرب عن جوهر أزمة يعانيها العقل، ويمارسها اللسان، وتحدد تقاسيمها خلفيات تاريخية ترسم مسار الثقافة، ومن ثم إعادة تشكيل الرؤية والذات، وتوجيه صيرورة المجتمعات.

وإذا كان من الثابت أن ثمة من المصطلحات ما هو من قبيل المشترك الإنساني، كما هو الشأن في العلوم المادية بشقيها النظري والتطبيقي وأنه بالإمكان تخليصها من كل خصوصية ثقافية، فإن قسما آخر منها لا ينفك يرفل في خصوصيته الثقافية، ولعل هذا ألصق بطبيعة العلوم الإنسانية.

إن المتلقي العربي في حاجة مسيسة إلى أن يستقي المفاهيم من مظانها الفكرية، تعادلها حاجته إلى وعي بمقومات الخصوصية، التي ينتج عن غيابها تناقص تدريجي بالاعتزاز بالذات، كما عليه أن يصحح اعتقاد أن ما يجده في المصطلح الوافد يكفيه مؤونته وما يطلبه من تطوير لمواقفه؛ لأنه بذلك يقطع الصلة بينه وبين تراثه وفكره الحالي، ثم إنه من الخطإ الجسيم أن يعتقد بأن حاجات عصره الحاضر تحتم عليه ألاّ يفتش عما أنجزه الأسلاف في صميم الفكر لغة ومعنى، وبخاصة إذا كانوا قد أدركوا بحسهم العلمي أن قياس تقدم العلوم مرهون بمدى نجاحها في بناء أنساقها الاصطلاحية المتعالقة مع أنساقها المفهومية، واطمأنوا إلى أنها تمثل نتاجا جماعيا أشبه ما يكون بالصبغيات

الجينية في حملها كل مقومات كل مرحلة من مراحل التراث.

لقد أدرك أسلافنا أنه بالنظر إلى المجتمع تُدرك هوية القيم التي ينتمي إليها، وبالنظر إلى القيم تُدرك هوية المجتمع الذي يتمثلها، فانتسبوا إلى ثقافتهم لأنهم كانوا يفكرون داخلها، فتشكلت هويتهم من لغتهم القومية، وتراثها الأدبي، والتاريخي، والثقافي وما منعهم ذلك من ملابسة ثقافات الأمم الأخرى، فكان أخذهم وتركهم كلاهما عن بيّنة بينما غابت هذه الحقيقة عن أذهان الكثيرين من الخلف؛ بسبب غياب المنهجية في مسالك الرفض والقبول مما طرح تاليا تغليب المزاج والاعتباطية على كل ضابط أو نظام.

ولعله يكفي تدليلا على هذا ما يشهده الواقع الأدبي والنقدي، وبخاصة النص الروائي العربي من حيف؛ جراء تطبيق مناهج النقد الحديثة التي تترى من الغرب دون تمثل لها، ودونما تمييز كاف بين المناهج التي تتعامل مع الرواية من الخارج، والمناهج التي تتعامل معها من الداخل أو بين الاتجاهات داخل المنهج الواحد، كما هي حال البنيوية بين" تودوروف" و" غولدمان"، الأمر الذي أربك ناقد الرواية العربية فوجد نفسه أمام مناهج أجنبية عدة، وفدت إليه في وقت واحد أو متقارب، وشرعت تطرح عليه معارف نظرية جديدة تختلف قليلا أو كثيرا بين الاتجاهات التكوينية، والوظيفية، والدلالية والأسلوبية.

ولا بأس في هذا السياق، وحتى لا نطلق أحكاما على عواهنها، من الإشارة إلى ما يخلّفه عدم توطين المصطلحات الوافدة مع النظريات الغربية وتوحيدها من بلبلة فكرية، وعدم القدرة على الانتظام السوي في مستوى العلاقة الفكرية الحضارية بين العلوم، لاسيما إذا كان ذلك بفعل عملية الترجمة غير الواعية.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، تعدد المصطلحات المقابلة لمصطلح" Poétique" ( الشعرية، القول الشعري، الإنشائية، علم الشعر، علم الظاهرة الأدبية، البويطيقا.....) جعل المصطلح يتحول من مصطلح واصف( علم موضوعه النصوص الشعرية والإبداعية) يقترب من النقد الأدبي إلى مصطلح موصوف( علم موضوعه ماهية الشعر والإبداع) يقترب من نقد النقد. وكما اختُلف. في ترجمته اصطلاحا، وفي تحديد مفهومه، وضبط موضوعه، وتعيين موقعه من المفاهيم المتاخمة له، اختلف في تحديد الإطار الذي ينتظمه( نظرية، علم، منهج)، فهو عند" الغذامي"" نظرية البيان"، وعند" محمد القاضي" " المنهج الإنشائي" وهو علم أو يطمح أن يكون كذاك عند" لطيف زيتوني".

إن الدعوة إلى تأمل الماضي ليست بدافع تأسيس شرعيته التراثية، وإلغاء الحاضر الحداثي، ولكن لوجوب الإقرار بأن العربية الآن– شئنا أم أبينا– ضعيفة مصطلحيا، وتعيش إمعة على المصطلحات الغربية الوافدة؛ بسبب الإنتاج الغائب فيها. فكان طبيعيا أن تتحول الثقافة العربية إلى أشتات منهجية يستعصي ردها إلى منهج بعينه أو إلى مناهج متقاربة.

ولأننا" صغرنا من حجم هذا الماضي، وقللنا من شأن إنجازات العقل العربي..."[12] انشطرت ذواتنا زمانيا نحو الماضي، ومكانيا نحو الغرب، وقد زادت هذه المسألة في تعميق إحساس الفرد العربي بالاغتراب الذي يلف وجوه حياته جميعا، ومن ثمة في دفعه إلى شطط الاستعارة من الآخر، والاكتفاء بما يجود به عليه.

إن ذات الفرد العربي المغتربة ثقافيا هي ذات محرومة من القدرة على التعاطي مع تطور الحياة الذي هوسنة كونية، لأنها ببساطة تخلت( طواعية أو قسرا) عن حقها الأصيل في تعهد ثقافتها بالنقد والتطوير، كما تخلت عن البحث العلمي الجاد والرصين الذي به توجد المفاهيم والنظريات، وتُولّد المصطلحات، فصرفت بذلك المسألة الحضارية من سياقها الحقيقي المتمثل في متابعة الاكتشافات العلمية والمساهمة فيها إلى الغرق في مواجهة المد المصطلحي، وبقيت أسيرة محاولات أعجمية أربكت الفكر العربي، وأبقت الفكر النقدي فيه غائبا إلى أمد غير معروف.

وما من شك في أن هذه المسألة تسوّغ ضرورة بناء فكر عربي جديد ينطلق من رؤية تثاقفية تشركه ولا تلغيه، تنبني على تصور ينزّه الذات العربية عن أي شك في قدرتها على الوصول إلى المعرفة، وإدراك حقيقتها وجوهرها، والتمكن من التحكم فيها. ذات تؤمن بقدرتها على صناعة الزمن بنفسها ولنفسها، بدلا من الخضوع لكرونولوجيته الساحقة التي يستحيل فيزيائيا تخطيها وتجاوزها.

**الخاتمة :**

وفي الختام، يمكن القول: إن التساؤل عن كاريزما المصطلح النقدي العربي هو، في حقيقته، سؤال في نوية التراث النقدي العربي التي تضمن له التفرد والتمايز، والقدرة على إعادة توليد الأفكار التي غارت فيه، مما يجزم بأن الموضوع ليس شديد الارتباط بمستويي التصور والفعل فحسب، بل هو متعدّ نحو تخوم تحاذي آليات إنتاج هذا التراث، وما يفرزه من تجليات للنسق القيمي.

وإذا كانت الحتمية التاريخية تفرض الانفتاح على جميع المعارف قصد مسايرة الركب الحضاري في وتيرة تقدمه المتسارعة، فإنه يجب على الدارس العربي الحرص على ألاّ تقتلع رياح الانفتاح جذوره من تربتها؛ فتفقده خصوصيته، وتحوّله إلى نسخة مشوهة للآخر، عملا بنصيحة" طاغور":" إني على استعداد لأن أفتح نوافذي في وجه جميع الرياح، لكن شريطة ألاّ تقتلعني هذه الرياح من مكاني"[13].

**الإحالات:**

1. مصطفى ناصف، النقد العربي" نحو نظرية ثانية"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع: 255، مارس 2000م، ص 10.

2. عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس،( د، ط)، 1994م، ص 12.

3. ينظر: F.Giroud, Si je mens, p50

و Daniel-Rops, le peuple de la bible, p58

4. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1401ه/ 1981م، مج 04، مادة ( ص ل ح)، ص 2479.

5. ينظر:

– الزمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1419ه/ 1998م، ج 2، مادة( ن ق د)، ص 297.

– الفيومي، المصباح المنير، تح أحمد جاد، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 1428هـ/ 2007م، مادة( ن ق د)، ص 359.

– ابن منظور، لسان العرب، تح عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1401ه/ 1981م، مج6، مادة( ن ق د)، ص4517.

6. عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، ص 21.

7. ينظر: مصطفى ناصف، النقد العربي" نحو نظرية ثانية"، ص 10.

8. عبد العزيز الدسوقي، نحو علم جمال عربي، سلسلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 9، ع: 2، ص 128.

9. ينظر: عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، ص ص 10، 11.

10. ساسين عساف، دراسات في الفكر النقدي الأدبي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1991م، ص 53.

11. أبوحيان التوحيدي، البصائر والذخائر، مطبعة الإرشاد، دمشق، ج 03،( د، ط)، 1964م، ص 49.

12. ينظر: عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة" نحو نظرية نقدية عربية"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع: 272، أغسطس 2001م، ص 13.

13. نجيب العوفي، ظواهر نصية، منشورات توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1992م، ص 14.